من تراثنا العلمي

تعبير الرؤيا لابن قتيبة

وصف وتلخيص لنسخة ثمينة من كتاب مفقود

للأستاذ على الطنطاوى

تتمـــــة

والعرب تضع النفس موضع الروح ، والروح موضع النفس ، فيقولون : خرجت نفسه وفاضت ، وخرجت روحه منه ، إما لأنهما شيء واحد ، أو لأنهما شيئان متصلان لا يقوم أحدهما إلاّ بالآخر ، وكذلك يسمون الجسد نفساً ، لأنه محل النفس ، قال ذو الرُّمّة حين احتُضر :

يا قابض الروح من نفسي إذا احتُضرت
وغافر الذنب زحزحني عن النـــار

ويسمون الدم جسداً لأن الجسد محله . قال النابغة الذبياني :

فلا لَمَسُرُ الذى قد زُرتُه حججاً
وما أُريق على الأنصاب من جسدِ

والمهجة عندهم الدم . قال الأصمعي : سمعت أعرابية الخ . . .

وقد أعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر الخ . . . وأرواح أهل النار الخ . . .

قلت : صف لي وجهك الز اهي وصيف حسن اعتدالك
قال : كالبدر وكالغصـ ـن وما أشبه ذلك

فالنكتة في العجز الأخير ، وإنما بنيت على كثرة استعمال النحويين لهذه الجملة حتى أصبح ذكرها في غير المسائل النحوية يعد اقتباساً

ومن جمال النكتة في الشعر الهزلي قول أحد المعاصرين يداعب صديقاً له :

يا صابغ اللحية ما تستحي تشارك الرحمن في صنعته
أقبح شيء شاع بين الورى أن امرأ يكذب في لحيته

وليس لجمال النكتة في الشعر حد يوقف عنده ، فتلمسه في شعر الظرفاء تجد منه الكثير

الجرمائي

(قال أبو محمد) : ولما كانت الرؤيا على ما أعلمتك من اختلاف مذاهبها ، وانصرافها عن أصولها ، بالزيادة الداخلة ، والكلمة المعترضة ، وانتقالها عن سبيل الخير إلى سبيل الشر باختلاف الهيئات واختلاف الأزمان والأوقات ، وأن تأويلها قد يكون مرة من لفظ الاسم ومرة من معناه ، ومرة من ضده ، ومرة من كتاب الله ، ومرة من الحديث ، ومرة من البيت السائر والمثل المشهور ، احتجت إلى أن أذكر قبل ذكر الأصول أمثلة في التأويل ، لأرشدك بها إلى السبيل

فأما التأويل بالأسماء فتحمله على ظاهر اللفظ الخ . قال : وأخبرنا محمد بن عبد العزيز عن . . . عن . . . عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : رأيت الليلة فيما يرى النائم كأني في دار عقبة بن رافع وأُتيت برطب من رطب ابن طاب (نوع من تمر المدينة) ، فأولته أن الرفعة لنا في الدنيا ، والعاقبة في الآخرة ، وأن ديننا قد طاب [1]

أخبرنا أبو حاتم الخ . . . (قال أبو محمد) : وربما اعتبر من الاسم إذا كثرت حروفه البعض الخ . قال الشاعر :

أهدت اليه سفرجلاً فتطيرا منـــه وظل نهاره متفكراً
خاف الفراق لأن أول ذكره سفر وحق له بأن يتطيرا

وكذلك السُّوسَن الخ . قال الشاعر :

سوسنة أعطيتنيها فما كنتِ باعطائها محسنه
أولها سوء فان جئت بالآ خر منها فهو سوء سنه

وأما التأويل بالقرآن فكالبيض يعبر بالنساء لقول الله عز وجل « كأنهن بيض مكنون » الخ . . . وكالحبل يعبر بالعقد لقوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً » ولقوله تعالى : « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس » أي بأمان وعهد . والعرب تسمي العهد حبلاً ، قال الشاعر :

وإذا تجوزها حبال قبيلة أخذت من الأخرى إليك حبالها

وكاللباس يعبر بالنساء لقوله جل وعز : « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » . قال النابغة الجعدي ، وذكر امرأة الخ . . .

وأما التأويل بالحديث فالغراب هو الفاسق لأن النبي صلى الله عليه وسلم سماه فاسقاً ، والفأرة الخ . . .

---

(١) رواه مسلم وأبو داود

وأما التأويل بالمثل السائر واللفظ المبذول كقولهم فى الصائغ : إنه رجل كذوب لما جرى على ألسنة الناس من قولهم : فلان يصوغ الأحاديث إذا كان يضعها الخ . . . وكقولهم فى الماسح : إنه ذو أسفار ، لقولهم لمن كثرت أسفاره هو يمسح الأرض . قال الشاعر فى هذا المعنى :

قبح الله آل برمك إنى صرت من أجلهم أخا أسفار
إن يكن ذوالقرين قد مسح الأر ض فانى موكل بالغبار

ويرى أهل النظر من أصحاب اللغة أن الدجال إنما سمى مسيحاً لأنه يمسح الأرض إذا خرج أى يسير فيها ، ولا يستقر بمكان ، وأن عيسى عليه السلام إنما سمى بذلك لأنه كان سائحاً فى البلاد لا يقيم بشئ منها ولا يوطنه ، ومن ذهب إلى هذا جعله فعيلاً فى معنى فاعل مثل قدير ورحيم ؛ ويرى قوم أن الدجال سمى مسيحاً لأنه ممسوح إحدى العينين . وهذا وإن كان وجهاً فالاشتقاق الأول أعجب ، لأن تسميتهم إياه الدجال تشهد له [1] ، والدجالة هى الرفقة فى السفر والقافلة ، قال خداش بن زهير :

فان يك ركب الحضرمى غرامة فان كلا ركبيكمُ أنا غارم
سأغرم من قد نالت الحجر منهم ودجالة الشام التى نال حاتم

يعنى قافلة أصابها حاتم الخ . . . .

وكقولهم فيمن غسل يديه بأشنان ، إنه اليأس من الشىء يطلبه ، لقول الناس لمن يئسوا منه : قد غسلت يدى منك بأشنان ، قال الشاعر :

فاغسل يديك بأشنان وأنقهما غسل الجنابة من معروف عثمان

وكقولهم فى الكبش الخ . . . .

وأما التأويل بالضد والمقلوب فكقولهم فى البكاء إنه فرح مالم يكن معه رنة ولا صوت ، وفى الفرح والضحك إنه حزن الخ . .

وأما تعبير الرؤيا بالزيادة والنقص فكقولهم الخ . . .

وقد تتغير الرؤيا عن أصلها باختلاف هيئات الناس وصناعاتهم وأقدارهم وأديانهم ، فتكون لواحد رحمة ، وعلى الآخر عذاباً الخ . . . حدثنا محمد الخ . . قال : آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبى بكر ، فرأى سلمان لأبى بكر رؤيا فجانبه وأعرض عنه ، فقال له أبو بكر : أى أخى ! مالك قد أعرضت عنى وجانبتنى ؟ قال : رأيت كأن يديك جمعتا الى عنقك ، فقال أبو بكر : الله أكبر ! جمعت يداى عن الشر الى يوم القيامة

حدثنى محمد عن . . . عن . . . عن عطاء ، قال : كان محمد ابن سيرين يقول فى الرجل يرى له أنه يخطب على منبر : إن كان ممن ينبغى له السلطان أصاب سلطاناً . وإلا فانه يصلب . شبه الجذع بالمنبر . وقال الرشيد ليزيد بن مزيد : ما أكثر الخلفاء فى ربيعة ! قال : نعم ، ولكن منابرهم الجذوع الخ . . .

ومن عجب الرؤيا أن الرجل يكون مفحماً لايقدر على أن يقول بيت شعر ، أو بكيا يتعذر عليه القليل منه إلا فى المدة الطويلة ، مع إعمال الفكر ، وإنعام الروية ، فينشد فى المنام الشعر الجيد لم يسمع به قط فيحفظه أو يحفظ منه البيت أو البيتين ، ويكون عيياً أو أعجمياً ، فيتكلم بالكلمة من الحكمة البليغة ويوعظ بالموعظة الحسنة ، ويخاطب بالكلام البليغ الوجيز الذى لايستطيع أن يتكلف مثله فى اليقظة بعرق الجبين ، وهذا من أدل الدلائل على اللطيف الخبير

روى الرازى الخ . . . وروى واصل الخ . . . وأما الشعر فان أبا اليقظان قال : تزوج رجل امرأة ، فعاهد كل واحد منهما صاحبه ألا يتزوج الآخر بعده ، ومات الرجل ، فلما انقضت عدة المرأة أتاها النساء فلم يزلن بها حتى تزوجت ، فلما كانت ليلة هدائها أغفت بعد ما هيئت فاذا هى بالرجل آخذا بعضادتى الباب يقول : ما أسرع ما نسيت العهد يارباب ! ثم قال :

حييت ساكن هذا البيت كلهم إلا الرباب فانى لا أحييها
أمست عروساً وأمسى منزلى جدثا إن القبور توارى من ثوى فيها

فانتبهت فزعة ، فقالت : والله لايجمع رأسى ورأسه بيت أبدا ، ثم تخالعا . وروى ابن الكلبى عن جبلة بن مالك الغسانى قال : سمع رجل من الحىّ قائلاً يقول فى المنام على سور دمشق

ألا ياالقوى للسفاهة والوهن وللعاجز الموهون والرأى ذى الأفن
ولابن سعيد بينما هو قائم على قدميه خر للوجه والبطن
رأى الحصن منجاة من الموت فالتجا اليه فزارته المنية فى الحصن

فأتى عبد الملك بن مروان فأخبره ، فقال : ويحك ، هل

(١) (قال فى اللسان) : الداجل المموه الكذاب وبه سمى الدجال لأنه يدجل الحق بالباطل ؛ وقيل بل لأنه يغطى الأرض بكثرة جموعه ؛ وقيل لأنه يغطى على الناس بكفره الخ . . . (وقال فى التاج) : وقيل هو من دجل الرجل إذا قطع نواحى الأرض سيراً (الطنطاوى)

سمعها منك أحد ؟ قال : لا . قال : فضعها تحت قدميك

ثم قال ، عبد الملك عمرو بن سعيد ، عن عقيل .. عن .. أن رجلاً الخ ...

(قال أبو محمد) وسأخبرك فى هذا الباب بأعجوبة عن نفسى : سألني رجل من أصحاب الغريب كان يكثر الاختلاف الى عن جنفى ما هو ؟ ولم أعرفه الخ . . .

ورأيت أيضاً فى المنام وأنا حديث السن كتباً فيها حكم كثيرة بألفاظ غريبة ـ كنت أحفظ منها شيئاً ثم أنسيت ذلك إلا حرفا وهو : وبلغت اليه سلّة الهواء ، وما كنت أعرف فى ذلك الوقت ما الصلة ، ثم عرفتها بعد ، والصلة اليبس

ومن عجائب الرؤيا أن الرجل يرى الشيء لنفسه أو يُرى له فيكون ذلك لشقيقه أو ابنه أو شبيهه أو سميه الخ . . .

(قال أبو محمد) وحكى أبو اليقظان الخ . . . (قال أبو محمد) وما أشبه هذا الحديث بحديث رجل رأى فى المنام ـ أيام الطاعون أن جنائز تخرج من داره على عدد من فيها ، فطعن أهل الدار جميعاً غيره ، فبقى ينتظر الموت ولا يشك فى أنه لاحق بهم ، فدخل الدار لص ، فطعن فيها فمات فى الدار ، فأخرجت جنازته منها وسلم الرجل

(حدثنا أبو محمد) قال حدثنى بعض الكتاب الخ . . .

وإن رأيت الرؤيا كلها مختلطة لاتلتئم على الأصول علمت أنها من الأضغاث فارجيتها ، وإن اشتبه عليك الأمر ، سألت الرجل عن ضميره فى سفره إن كان رأى السفر ، وفى صلاته إن كان رأى الصلاة ، وفى صيده إن كان رأى الصيد ، ثم قضيت بالضمير ، وإن لم يكن هناك ضمير أخذت بالأسماء على ما بينت لك . وقد تختلف طبائع الناس فى الرؤيا ، ويجرون على عادة فيها ، يعرفونها من أنفسهم ، فيكون ذلك أقوى من الأصل ، فتسأل عن طبع الرجل ، وما جرت عليه عادته الخ . . . وإن كان الأصل طائراً الخ ، وإن كان غراباً الخ . . . وقيل لن أبطأ عليك أو ذهب فلم يعد اليك : غراب نوح ، وإن كان عقعقاً كان رجلاً لا عهد له ولا حفاظ ولا دين قال الشاعر :

الا إنما حملتم الأمر عقعقا .

وإن كان عقاباً الخ . . . .

* * *

هذه فقرة من المقدمة القيمة التى قدم بها الكتاب وهى تقع فى أكثر من أربعين صفحة ، وتأتى من بعدها أبواب الكتاب وهى ستة وأربعون باباً ، فيها من نوادر الشعر وطرائف اللغة ودرر الأدب مثل ما فى المقدمة ، ولولا أن هذا الفصل قد طال ، لاخترنا منها فقراً رويناها فى (الرسالة) ، والكتاب على الجملة من نفائس تراثنا العلمى ، ومكانه من الخزانة العربية لا يزال خالياً لم يشغله كتاب . وإنا لنأمل له من رجال الأدب ومن الناشرين الاهتمام اللائق به ؟

(دمشق) **على الطنطاوى**

الباخرتان :

«زمزم» تسقيكم من زمزم

«كوثر» تقربكم من الكوثر

شركة مصر للملاحة البحرية

جهزتهما لحجاج بيت الله الحرام

بأوفر اسباب الراحة والامان

(اطلبوا كافة الاستعلامات من ادارة الشركة بعمارة بنك مصر القاهرة)